11 me Année No. 542

Lundi - 22 - 11 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٤٢ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٤ ذو القعدة سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٢ نوفبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

٣ - في المسجد الأقصى

للدكتور عبد الوهاب عزام

لبثت في المتحف الإسلامي حتى سمعنا النداء فخرجنا لنشهد صلاة العصر في المسجد. فلما قضيت الصلاة طوّفنا في المسجد فرأيناه في جلاله ورونقه ؛ وقد تمت عمارته هذا العام بعد أن لبث عليه الترميم والبناء سنين. دعم أحد المهندسين الترك القبة العظيمة التي أمام المحراب ؛ ثم تولى المهندسون المصريون[1] تجديد معظم الأروقة، وأقيمت عمد جميلة من الرخام مقام العمد القديمة المبنيّة. وقد حدّثت أن المهندسين عجبوا كيف احتملت هذه العمد المبنية هذا السقف الثقيل وما عليه من طين وتراب قدر وزنهما تقديراً هائلاً

والمسجد اليوم سبعة أروقة تمتد مع طوله من الشمال إلى القبلة أوسطها الرواق الأعلى الذي ينتهي إلى قبة المحراب العالية الرائعة. وكان طول المسجد، فيما سمعت، من الشرق إلى الغرب، وكان امتداده من القبلة إلى الشمال أقلّ مما هو اليوم. وإذا أدخلنا في مساحة المسجد مصلّى النساء ومسجد عمر كان طوله كما كان من قبل، ممتداً بين الشرق والغرب. والمسجد يشبه جامع بني أمية العظيم الذي في دمشق، ولكن جامع دمشق أضخم

(١) المرحوم محمود باشا أحمد مدير الآثار الاسلامية وخليفة المهندس البارع محمد حلمي عبد الفتاح

الفهـــرس

٢٦ ـ ٢١

بناء وأعلى عمداً وأحكم صنعة ، وعرض مصلاه قليل وطوله مفرط . ورحم الله بنى أمية لقد بقى على الدهر بناؤهم ، وثبتت على رجفات الزمان آثارهم فما تزال دمشق وبيت القدس وقرطبة تشهد لهم بما شادوا وما عمروا . وما يفخر المسلمون والعرب اليوم بعمارة هي أقدم وأضخم مما شاد بنو أمية . وقد قلت في جامع دمشق :

رأيت فيه خلال القوم ماثلة ... وللبناء من البانين أقدار

ورحم الله شوقى الذى يقول :

لولا دمشق لما كانت طليطلة ... ولا زهت ببنى العباس بغدان

ويقول :

بنوا أمية للأبناء ما فتحوا ... وللأحاديث ما سادوا وما دانوا

ووقفت عند المنبر الجميل الذى دق صنعه ، وجمل شكله ، وأخرجه صانعان من حلب طُرفة من الصناعة ليس فيها مسمار ؛ ولكن دقائق من الخشب متماسكة ومتعاشقة . وقرأنا عليه اسم الملك الصالح نور الدين محمود وابنه

وقد حدث التاريخ أن هذا المنبر صنع والمسجد فى أيدى الصليبيين ليوضع فيه بعد الفتح . وما كان الفتح ليستعصى على هذه العزيمة وهذا الإيمان . ثم وضعه فى موضعه الذى هو فيه اليوم الملك الناصر صلاح الدين

قال الإخوان : إصعد فتأمل أعلى المنبر فصعدت وكأنما احتشدت أمامى الجموع التى شهدتها هنا القرون ، والحادثات التى داولتها العصور . قلت : ما أخطب هذا المقام وما أخطب هذا المنبر ! قال أحد الرفاق : وإنك لجدير به : قلت : يومَ نظفر بما نبنى لهذا المسجد وأهله من سلام وعزة ، يومَ تكونُ أقدامنا جديرة بمكانها من هذا المنبر منبر التاريخ

وإلى جانبى المسجد من جهة القبلة مصلّيان متصلان به يمتدان مع جدار القبلة إلى الشرق والغرب ولا يتسمان إلى الشمال بل عرضهما يقارب عرض رواق واحد من المسجد ، وهما يبدوان كأنهما جناحان لهذا المسجد المبارك الذى يصعد بالأرواح كل حين ؛ فالذى إلى يمين المصلَّى مسجد النساء (وقد اقتطع قسم منه للمتحف الإسلامي) ، ويصلى فيه النساء كل يوم . وقلَّ أن يخلو المسجد الأقصى من مصليات قانتات يذهبن جماعات إلى الصلاة ومعهن أطفالهن أحياناً . وهى سنّة إسلامية حميدة شهدتها فى جوامع الشام واسطنبول أيضاً

وأما المصلى المبارك الذى إلى يسار القبلة شرق المسجد فيحمل الإسم العظيم والذكرى الخالدة ، اسم أمير المؤمنين عمر فاتح بيت القدس رضى الله عنه وأرضاه . ويقال إنه المصلى الذى أمر عمر باتخاذه حينما دخل المسجد الأقصى ورفع عنه الرجس والهوان اللذين جثما عليه عصوراً ، وجعله مسجداً طهوراً

والذى أدركته من كتب التاريخ أن المساحة الفسيحة التى نسميها الحرم كانت كلها تسمى المسجد الأقصى ؛ ولكن هذا الإسم يخص اليوم أحياناً بالمسجد الذى وصفت . قال ياقوت :

وأما الأقصى فهو فى طرفها الشرق (يعنى طرف المدينة) نحو القبلة أساسه من عمل داود عليه السلام وهو طويل عريض وطوله أكثر من عرضه

وفى نحو القبلة المصلَّى الذى يخطب فيه للجمعة . وهو على غاية الحسن والأحكام مبنىّ على الأعمدة الرخام الملوّنة وليس فى الدنيا أحسن منه لا جامع دمشق ولا غيره

وقد نقل ياقوت عن المقدسى أن طول المسجد ألف ذراع وعرضه سبعمائة وأن في سقوفه من الخشب أربعة آلاف خشبة وسبعمائة عمود رخام وكان له ستة وعشرون باباً الخ

ومن يقرأ ما ذكره المؤرخون عن هذا المسجد يعرف أن الذى نراه اليوم بقية الخطوب من هذا البناء العظيم الهائل . وإنما ذكرتُ من هذه البقية ما لا يشق على القارئ إدراكه مما أدركت العين فى زيادة سريعة غير مستوعبة ولا مدققة

ثم انصرف الرفاق مشكورين ، ولبثت فى المسجد ، فذهبت إلى الجانب الشرقى فأشرفت من صحن الصخرة على ساحة واسعة بينه وبين السور الشرقى ، سور المسجد والمدينة القديمة نفسها . وهى ساحة خربة ولكنها تصلح أن تكون بستاناً كبيراً أو حديقة واسعة أو مدرسة جامعة ، أو ما يشاء التفكير والإصلاح لخير المسلمين

وضيّفتِ الشمس للغروب فذهبت إلى حجرة الموعد معتكَف الوزير التقى السيد الجددى للافطار مع العاكفين . وصلينا المغرب فى قبة الصخرة وعدنا فبسطت سفرة وضعت عليها ألوان من الأطعمة الشهية ، وأحاطت بالمائدة وجوه مشرقة تتجلى فيها الطهارة الإسلامية طهارة الجسد والروح والظاهر والباطن . قعدت بين هؤلاء الإخوان البررة الذين صفت قلوبهم ووجوههم واجتمعوا على البر والأخوة فى هذه البقعة المطهرة . نخلت هذه المائدة صفاً للصلاة ، وهذا الأكل الشهى أسلوباً من العبادة . وإن حظ الأجسام من هذه الغذاء ليس أعظم من حظ الأرواح .

مسابقة الأدب العربي

القيادة الفكرية
بين الفلاسفة والأنبياء
للدكتور زكي مبارك

تاريخ لطيف!

في السبت الأول من نوفمبر سنة ١٩١٩ وقف ثروت باشا رحمه الله بقاعة المحاضرات في الجامعة المصرية وألقى كلمة طيبة قدّم بها الدكتور طه حسين إلى الجمهور، وقد قال في تلك الكلمة إنه يود لو كان سعد باشا حاضراً ليقدّم الدكتور طه على نحو ما صنع في العام الماضي وهو يقدّم الدكتور أحمد ضيف «وكان سعد باشا يومذاك منفيًّا بأمر السلطة العسكرية»

ثم وقف الدكتور طه ليلقي محاضرته الأولى فشكر أعضاء مجلس الجامعة، من كان منهم في مصر ومن كان منهم خلف «البحر» وهو بهذا يشير إلى سعد باشا زغلول ومحمد باشا محمود» واندفع بعد ذلك في محاضرته فحدثنا أنه عزم على إحياء التراث اليوناني، لأنه يؤمن إيماناً جازماً بأن مرجع الفكر في الشرق والغرب إلى القدماء من مفكري اليونان

وما كاد الدكتور طه يفرغ من محاضرته حتى نهض أحد طلبة الجامعة واسمه زكي مبارك فردّ على الدكتور طه ردًّا خطابيًّا أثار إعجاب الجمهور، فوقف الدكتور طه وردّ على الطالب ردًّا ظفر بشيء من القبول

وبدا للأستاذ محمود عزمي أن يؤرخ وقع المحاضرة الأولى للدكتور طه بكلمة ضافية في جريدة الاستقلال، ولم يفته أن يوجه عبارة نابية إلى الطالب الذي ثار حين رأى من يقول بأن مرجع الفكر كله إلى مفكري اليونان

وفي المحاضرة التالية رأى الدكتور طه أن يبدأ بكلمة في التعقيب على مقال الأستاذ محمود عزمي، ليبين خطأ الطالب

وقد تمنيت أني معتكف مع المتكفين ووددت أن أظفر بهذه السكينة في حجرة من هذه الحجرات رمضان من العام القابل

قلت للاخوان مازحاً: إنكم لفي نعيم. وإن غير المتكفين لا يظفرون بمثل هذه المائدة. وقال السيد المجددي وهو يضيء الكهرباء: هذا اعتكاف آخر الزمان. قلت: هذا اعتكاف إسلامي فيه الطمأنينة والعبادة والفكر، وليس فيه الحرمان والإرهاق «قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق». وشربنا الشاي وتحدثنا قليلاً فسمعنا النداء للعشاء فسرنا إلى قبة الصخرة فدخلنا وقلوبنا تخفق مع هذه القناديل الخافقة. وانتظمت الجماعة في المصلى الخارجي وسمعت تسبيح النساء وراء السياج المحيط بالمصلى الذي تحت القبة فعرفت أن لحن جماعة من وراء هذا الحجاب. وأقبلنا على صلاة العشاء والتراويح. فلما قضيت الصلاة وسرت إلى الباب الشمالي رأيت جماعة أخرى يؤمّ بها السيد المجددي؛ وقيل لي إنها جماعة الحنفية يصلي بها هذا السيد السُمرى الأفغاني كل ليلة. وما أجدره بالإمامة في مدينة عمر استأذنت المتكفين وخرجت كارهاً أود أن يطول لبثي في هذه المشاهد على طول ما لبثت فيها. خرجت وأنا أجيل الطرف فيما حولي لأثبت ذكراه في نفسي وأود أن أسير سريعاً في ظلمات الليل فأطوف مرة أخرى بهذه الساحة الفسيحة التي أمضيت فيها معظم النهار وشطراً من الليل

ذهبت إلى التكية البخارية فلبثت ساعة في ضيافة شيخها الشيخ يعقوب البخاري، وما هذه التكايا والمساكن النظيفة الطاهرة المجمّلة والمزينة بالأوراق والأغلاق إلا مساجد صغيرة. فقد عددت هذه الساعة من ساعات المسجد الأقصى أيضاً

ومضت بنا السيارة إلى رام الله حيث الفندق الذي أنزل فيه، ولا تزال هذه المشاهد في عيني. وملء فكري، تاريخ من المجد، وعصور من الخطوب، وصفحات من الغِيَر، وملء قلبي آمال وآلام. ذكر ناضرة يتخللها الألم كما تقدح النار من الشجر الأخضر — رجعت إلى مأواي وقد طويت المصورَ في تلك الساعات، والأحداثَ العظيمة في تلك الآثار، ثم طويت تلك الساعات القليلة وتلك الآثار الجليلة في فكري وقلبي.

عبد الوهاب عزام

الذى ثار عليه ، فنهض زكى مبارك وقال : لا تتعالوا علينا ، ففى مقدورنا أن نساجلكم بالحجج والبراهين

وفى تلك اللحظة مال إسماعيل بك رأفت على أذن الدكتور طه فأسرّ إليه كلمات ، فانصرف الدكتور طه عن التعقيب ، ومضى فى المحاضرة الأساسية و « ليس » فى نفسه أشياء

بين تاريخ وتاريخ

هل تغيّر الرأى عندى فى هذه القضية بين نوفمبر سنة ١٩١٩ ونوفمبر سنة ١٩٤٣ ؟

وهل تغيّر الرأى عند الدكتور طه فيما بين هذا التاريخ وذاك التاريخ ؟

لم يتغير رأيى ولا رأيه ، وأنا موقن بأنى على هدًى وإن لم يكن الدكتور طه فى ضلال

ولكن ما الموجب لإثارة هذه المشكلة وقد تقادم عليها العهد؟

الموجب هو إصرار الدكتور طه على القول بأن مرجع الفكر فى الشرق والغرب إلى القدماء من مفكرى اليونان ، وحرصه على إثبات هذا القول فى الكتاب المقرر لمسابقة الأدب العربى ، وكان قبل ذلك مقرراً للمطالعة فى المدارس الثانوية ، ونحن لا ندع أبناءنا يقرأون كلاماً يساق بلا بينة ولا يقين

يضاف إلى هذا أن الدكتور طه عقد فصلاً خاصًّا بهذه القضية عنوانه « بين الشرق والغرب » ، وقد أراد بهذا الفصل أن يجعل القيمة العقلية من حظ الغرب ، وأن يجعل البوارق الخيالية من حظ الشرق ، وانتهى إلى النص على أن الغرب وطن الفلاسفة وأن الشرق وطن الأنبياء

فاذا يريد الدكتور طه بهذا القول ؟ وما حظه فى أن يقرر أن العقل الشرقى انهزم أمام العقل اليونانى مرات فى التاريخ القديم وأنه ألقى السلاح فى التاريخ الحديث ؟ وما الغرض من الإصرار على أن العقل الشرقى يذهب فى فهم الطبيعة وتفسيرها مذهباً دينيًّا قائماً ، بدليل أنه خضع للكهان فى عصوره الأولى وخضع للديانات السماوية فى عصوره الراقية ؟

لا بدّ من نقض هذه الآراء قبل أن يُفتَن بها التلاميذ ، لأنها صادرة من رجل ممتاز من الوجهة الأدبية ، أو لأنها مسجلة فى كتاب رُقم عليه اسم وزارة المعارف العمومية

وما الذى يمنع من تبصير الدكتور طه بالصواب ؟

هل نجا من شوق التعرف إلى الحق ؟

وهل هان الشرق على أهله حتى نسكت عمن يرمونه بالعقم والإمحال فى الميادين العقلية ؟

على الدكتور طه أن يسمع ، وله أن يجيب إن كان يملك الجواب

نماذج من الأخطاء

وقبل أن نواجه المشكلة الأساسية ، نذكر نماذج من أخطاء الدكتور طه فى تصور الحياة العقلية

فن أخطائه أن يتوهم أن أخذ اليونانيين عن الشرقيين نظام النقد ونظام المقاييس ليس إلا عملية مادية . ومن أخطائه أن يهوّن من فنون الحساب والهندسة فيجعلها فنوناً عملية لا عقلية . ومن أخطائه أن يقول بأن سيادة النظام الملكى فى الحكومات الشرقية دليل على أنها لم تنضج من الوجهة السياسية

وهذه الأخطاء فى الفكر لا تحتاج إلى شرح ، فن الواضح جدًّا أن نظام النقد كنظام المقاييس وثيق الصلة بالحياة العقلية . ومن الواضح جدًّا أن فنون الهندسة والحساب ليست فنوناً عملية إلا عند التطبيق ، ولكنها فى ذاتها فنون عقلية . ومن أوضح الواضحات أن نظام الحكومة وسيلة ، لا غاية ، فإن نجح النظام الملكى فلا بأس ، وليس من الحتم أن تكون القلقلات الحكومية فى التاريخ القديم دليلاً على أن اليونان كانوا أرقى الناس فى الحياة السياسية

والخطأ الأعظم هو أن يقف الدكتور طه موقف المقرر المتحكم فى قضية واهية الأساس ، فما كان اليونان كما أراد لهم أن يكونوا ، ولا كان هو نفسه بموقن أنه يملك توجيه مؤرخي الفلسفة من المحدثين ، كما حاول أن يقول

فلاسفة وأنبياء

حجة الدكتور طه على قوة الغرب أنه وطن الفلاسفة ، وحجته على ضعف الشرق أنه وطن الأنبياء ، فما قيمة هذا الكلام إذا أقيمت له الموازين ؟

لا يمكن فهم هذه المسألة فهماً علميًّا إلا إذا غضضنا النظر

عن الناحية الدينية ، وجعلنا الأنبياء والفلاسفة رجالاً كسائر الرجال ، وهم كذلك بالفعل ، فقد صرح القرآن بأن الوحى هو الذى يميز الأنبياء عن الناس ، فما كان الأنبياء ملائكة ولا آلهة ، وإنما هم ناس

يجب أولاً أن نعرف من هو الفيلسوف ؟

الفيلسوف هو محب الحكمة ، هو رجل يريد أن يسمو بنفسه عن الجهل ، ويهمه أن يتحرر من تقاليد الأغبياء ، ولكنه فى أكثر أحواله يؤثر السلامة ، وقد يركن إلى الخمول ، ومعنى هذا أن الفلاسفة لم تكن لهم فاعلية ، بدليل أنهم عاشوا فى عزلة عن المجتمع ، ولم يفكروا فى إقامة حكومة تحقق آمالهم فى شرف الوجود

وسقراط أبو الفلاسفة لم يَسلم عقله من الخضوع لمعبد أبوللون ، وكان حاله عند الحكم عليه غاية فى سوء المصير ، فقد ظهر أنه لم يستطع خلق عصبية تحميه من القتل ، ولم يكن تلاميذه وحواريوه إلا أنصاراً لا يجيدون غير البكاء

وكان هذا عيباً فظيعاً ، لأن سقراط نشأ فى عهود الفروسية ، فلو كان فيلسوفاً متسقاً مع زمانه لحمل تلاميذه من الفرسان ، فى زمان لا ينتصر فيه غير الفرسان

أقول هذا وأنا أعرف أن استسلام سقراط للموت خلق صوراً شعرية قليلة الأمثال ؛ فقد أوحى إلى أفلاطون ما أوحى ، ثم كانت ترجمة فيكتور كوزان لأفلاطون موحية إلى الشاعر لامرتين بقصيد هو غاية فى الروعة والجمال

الفلاسفة أصحاب فضل من جهة الفهم لا من جهة الفاعلية وبهذا ظلوا متخلفين عن قافلة الوجود

أنبياء ومرسلون

هنالك فرق بين النبىّ والرسول ، والظاهر أن النبىّ رجلٌ كامل من الوجهة الذاتية ، بغض النظر عن المسئولية الاجتماعية ، فبينه وبين الفيلسوف الصادق تشابه فى السلوك ، مع فوارق ستفصلها بعد حين

أما الرسول فرجلٌ مجاهد يرى من واجبه أن يستقتل فى هداية المجتمع ، وأن يرحب بالموت فى سبيل الجهاد

وقد نجح الأنبياء المرسلون فى هداية الشرق والغرب ، فإليهم يرجع الفضل فى إقامة الدعائم للحضارة الإنسانية

وهل من القليل أن يستطيع ثلاثة من الأنبياء المرسلين أن يسيطروا بالفكر والروح والعقل على الكثير من أقطار الشرق والغرب بأضعاف وأضعاف وأضعاف ما سيطر الفلاسفة الثلاثة سقراط وأفلاطون وأرسطاليس ؟

مثال

نشأ النبى محمد فى بيئة وثنية ، فصعُب عليه أن يَهدى قومَه بالمنطق إلى طريق الحق ، وكان منافسوه من رهبان النصارى وأحبار اليهود يعيّرونه بالعجز عن خلق آية تشهد بأنه رسول

وقد حار النبى محمد فى إقناع خصومه بأن الآيات من عند الله ، وأنه لا يملك تبديل الأنظمة الوجودية ، لأنها من وضع واجب الوجود

وفى يوم من أيام الارتياب مات ابنه إبراهيم ، وفى ذلك اليوم كسفت الشمس ، فأقبل أعداؤه مباهين ، لأنهم وثقوا بأن الشمس لم تكسف إلا حزناً على موت ابن الرسول

عند ذلك تعرّض محمدٌ لمحنة أخلاقية ، فهو بين أمرين : الأمر الأول أن يستغل جهل معاصريه فيوافق على أن الشمس كسفت لموت ابنه إبراهيم فيكون من أكابر الأنبياء ، والأمر الثانى أن يَصدع بكلمة الحق ، ولو تعرّضت نبوّته للضياع

وقف محمدٌ ينادى بأن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، وأنهما لا يتأثران بموت ، ولو كان من الأنبياء

فى تلك اللحظة تناظرَ أصدقاء محمد عاتبين ، فقد ضاعت فرصة لا ينتظرون أن تعود

ولكن محمداً لا يبالى غضب أصدقائه إذا خاصموا الصدق

ماذا أريد أن أقول ؟

أنا أقول إن محمداً هو القائد الأول فى الفكر الإنسانى ، بهذه اللمحة الواحدة ، بغض النظر عما سبقها ولحقها من اللمحات

وإذن يكون القائد الأول للفكر هو محمد لا سقراط ، ولو غضب الدكتور طه حسين

وما غضبُ الدكتور طه وما خطره وهو يستوحى جماعة من المؤلفين فى تاريخ الفكر عند اليونان ؟!

صيال الآراء

أراد الدكتور طه أن يغض من العقلية الشرقية ، بحجة أنها خضعت للكهان والأنبياء . وأنا لا أتزيد عليه ، فذاك كلامه ، وهو كلام مدوّن فى كتاب طُبع مرتين ، وتبنّته وزارة المعارف بعد مجلة الهلال

والظاهر أن الدكتور طه يتوهم أن الكهانة ظاهرة شرقية لا غربية ، وذلك توهمٌ طريف ، لأن الدكتور طه نفسه يشهد بأن سقراط قد استلهم الكهان ، مع أنه فى زعم الدكتور طه أول محرر للعقل الإنسانى من أغلال الأضاليل

وأقول بعبارة صريحة إن الكهانة لم تصر مهنة مقدسة إلا فى عهود الوثنية اليونانية ، فقد كانت لها معابد ، وكان لمعابدها سدنة وأمناء ، وكان المصير لكل معضلة فردية أو قومية رهيناً برأى « الصوت المتنكر » فى زوايا الظلام المنشور فوق معابد اليونان

أما كهان الشرق فكان مركزهم فى المجتمع أيسر وأخف ، لأن الشرق سبق الغرب إلى استيحاء العقل ، وهل يستطيع مكابر أن ينكر فضل الشرق فى السبق إلى رفع القواعد من الحضارة الإنسانية ؟

ثم ماذا ؟ ثم يجيء الكلام عن تفرد الشرق بالأنبياء ، وهنا تثور المعضلة من جديد ، معضلة الموازنة بين الشرق والغرب

وأقول إن النبوّات فى الشرق دانت الإنسانية بديون يراها الحاضر ويذكرها التاريخ ، فالأنبياء الثلاثة موسى وعيسى ومحمد من أرومة عربية ، وهم قد شرّقوا وغرّبوا ، وملأوا الدنيا ضجيجاً فكرياً وروحياً فى أزمان لم تعرف سوى الذى أثاروا من صيال الآراء.

إن الصراع بين الإسلام والنصرانية هو أول وثبة جريئة لإيقاظ العقلية الإنسانية ، ولا نستطيع أن نتصور مدنية حقيقية تقوم على الفكر والرأى قبل الصراع الذى ثار بين المسلمين فى الشرق والنصارى فى الغرب

ومع أن الديانة الموسوية قد هُزمت منذ أجيال ، فنحن نشهد كيف قاتلتْ قتال المستميت ، وكيف استبقت أنصارها على وجوه التواريخ

الفكر الشرقى هو الذى زوّد الديانة الموسوية بزاد النضال ، وهى لم تنهزم إلا بقوة شرقية ، فما جلا اليهود عن بلد بعد جلائهم عن الجزيرة العربية

وطغيان هتلر وأعوانه فى طرد اليهود من ألمانيا لم يكن إلا نزعة عنصرية ، وثورة هتلر وأعوانه على الديانة المسيحية صورة من ثورته على اليهود ، لأن المسيح يهوديُّ العِرْق ، وله فى بلاد العرب أخوال

ومن المضحك أن نرى النازيين فى أوقات كروبهم يفزعون إلى الكنائس ، مع أنها معابد شرقية لا غربية

الإسلام محرر ألمانيا وانجلترا

كانت دعوة « لوثر » دعوة جريئة فى تحرير المسيحية من العبودية الرهبانية ، فما مصدر تلك الدعوة التى حررت عقول الإنجليز وعقول الألمان ؟

مصدر تلك الدعوة مصدرٌ إسلاميٌّ ، وأنا أتذكر أن الإسلام ظهر فى الشرق !

« لوثر » قوة فكرية عظيمة ، ولكنه لم يخطر على بال الدكتور طه وهو يتحدث عن قادة الفكر ، لأنه لم يأخذ الفكر عن اليونان ، مع أن « لوثر » أثر فى الأخلاق الأوربية تأثيراً لا يقاس إليه تأثير سقراط وأفلاطون

وأعجب العجب أن اليونانيين لم يستجيبوا لدعوة « لوثر » ، ولم يتركوا المذهب الأورثودكسى

قال هتلر فى كتابه إنه لا يعترف بغير قوتين اثنتين : قوة ألمانيا وقوة انجلترا ، ولم يفته غير النص على أن ألمانيا وانجلترا يتبعان الروح الإسلامى ، وهو الروح الذى ينكر أن يكون بيننا وبين الله وسيط ، ولو كان من أعاظم الرهبان

الشرق يؤثر فى الغرب ، ولا يزال يؤثر فيه من الوجهة الروحية والعقلية ، فما هذا الذى يقول الدكتور طه حسين

هو ينقل كلاما ، وناقل الكفر ليس بكافر ، كما قال القدماء .

بين الشرق والغرب

تجمّع الغرب النصرانى لمناضلة الشرق الإسلامى فى أعوام

٧ – حكاية الوفد الكسروى

للأستاذ جليل

٦ – يقول علقمة بن علاثة :

« ... إنا وإن كانت المحبة أحضرتنا والوفادة قربتنا فليس من حضرك منا بأفضل ممن عزب عنك »

هذا تركيب مولد ، ومثلة قول الإمام مسلم بن الحجاج في مقدمة كتابه (الجامع الصحيح)[1]

« فإذا نحن تقصينا أخبار هذا الصنف من الناس أتبعناها أخباراً يقع فى أسانيدها بعض من ليس بالموصوف بالحفظ والإتقان كالصنف المقدم قبلهم ، على أنهم وإن كانوا فيما وصفنا دونهم ، فإن اسم الستر وتعاطى العلم يشملهم كعطاء بن السائب ويزيد بن أبى زياد وليث بن أبى سليم وأضرابهم من حمّال الآثار ونقّال الأخبار ، فهم وإن كانوا بما وصفنا من العلم والستر عند أهل العلم معروفين فغيرهم من أقرانهم ممن عندهم من الإتقان والإستقامة فى الرواية يفضلونهم فى الحال والمرتبة . »

(١) (٤٠٠٠) حديث خرجه من (٣٠٠,٠٠٠) ألف حديث وجامع البخارى (٢٧٦١) حديثاً خرجه من (٦٠٠,٠٠٠) حديث والحديث الصحيح فى الحديث الكذب كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود كما قال الدارقطنى

قال صاحب الكليات :

« الفاء فى خبر المبتدأ المقرون بأن الوصلية شائع فى عبارات المصنفين مثل زيد وإن كان غنياً فهو بخيل »

وأورد أقوال نحاة أتعبوا أنفسهم فى إعراب هذا التركيب . واعلم أن ما أصله مبتدأ حاله كحال المبتدأ

* * *

يقول عامر بن الطفيل :

« ما هيبتى فى قفاى بدون هيبتى فى وجهي »

دخول الباء على دون لم يجيء فى كلام جاهلى أو إسلامي ، وقول الأخفش فى كتابه فى القوافى وقد ذكر أعرابياً أنشده شعراً مكفئاً : فرددنا عليه وعلى نفر من أصحابه ، فيهم من ليس بدونه »[1] — مولد . ومثله قول ابن الفرضى :

(١) رواه اللسان ونقله التاج

الحروب الصليبية ، فماذا وقع فى تلك الحروب وقد طالت حتى جاوز مداها عشرات السنين ؟

قهرنا خصومنا ودحرناهم ، لأن أسلحة الحرب كانت واحدة ، ولم يكن لخصم أن يتفوق على خصم بغير قوة العقيدة ورسوخ اليقين

وكان نصارى الغرب يهمهم أن يستولوا على مصدر النصرانية فى الشرق ، ومعنى هذا أنهم جاءوا مسلحين بنزاعتنا الروحية ، ولولا العقيدة التى نقلوها عن الشرق لعجزوا عن ملاقاتنا فى أى ميدان .

سيوف الله

كان من المؤكد أن ينهزم الشرق الإسلامى فى هذه الحرب ، لأن أدوات القتال قد تغيرت وتبدلت ، ولم يستعد الشرق لنازلة الغرب ، لأنه غير مزوّد بالأسلحة التى ابتدعها شياطين الغرب الجديد

لطَف الله بالشرق الإسلامى ولطَف . . . ألم تسمعوا أن الحرب فى روسيا لم تمس الأقاليم المأهولة بالقبائل الإسلامية ؟

عتاب !

هو عتابى على الدكتور طه ، فهل يميل إلىّ بفكره لحظة واحدة ليغيّر رأيه فيما بين الشرق والغرب ؟ وماذا يقع إن لم يسمع ؟ الشرق لن يتخلى عن السيطرة الروحية ، وإن عجز عن السيطرة الحربية ، ولن يُوهن من قوة الشرق أن يقرأ أبناؤه كلاما منقولاً عن أحد الأجانب ، ولو كان الناقل طه حسين

أما بعد فأنا أوصى طلبة السنة التوجيهية أن يثيروا هذه المشكلة أمام لجنة الامتحان ، ليفوزوا بدرجات التفوق ، على شرط أن يفهموا المرامى الدقيقة لهذه الرموز والتلاميح

لجنة الامتحان فى مسابقة الأدب العربى ستؤلف من رجال يسرهم أن يجدوا فتياناً يجادلون ويناظرون ، فالقوهم بما أدعوكم إليه ، ليفرحوا بكم ، وليطمئنوا إلى أنكم فاهمون لا ناقلون ... أنا ضامن لكم النجاح إن لاقيتم الممتحنين وأنتم مزوّدون بالفكر والبيان ... أنهبوا جوائز وزارة المعارف ، لتفرح بكم فرح الآباء بنجباء الأبناء

زكى مبارك

إن الذى أصبحت طوع يمينه إن لم يكن قرأً فليس بدونه

وقد ورد مثل ذلك فى كلام معزو إلى صحابى وهو دليل على صوغ القول وتوليده

يقول قيس بن مسعود الشيبانى :

« لم نقدم أيها الملك لمساماة ، ولم ننتسب لمعاداة »

تعدية الانتساب بغير حرفه مولدة ، وفى (المقامة . .) فى قولها : « فلا يدخل رجل فى غيز قومه ، ولا ينتسب إلى غير نسبه » التعدية العربية القديمة

* * *

يقول عامر بن الطفيل :

« . . . ولبس القول أعمى من حندس الليل »

بناء (أفعل) من عمى غير جائز ؛ قال الرضى : « لكون بعضها مما لا يقبل الزيادة والنقصان كالعمى »

والشاذ فى هذا الباب معروف . وقول عامر يكاد يكون عصرياً ...

وأما القول العربى الكريم : « ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلاً »

فالثانية فيه مثل الأولى[1] ، وليست بمعنى « التى تقتضى من » كما قال العكبرى[2] . وقال الزمخشرى : « قد جوزوا أن يكون الثانى بمعنى التفضيل » وأما لا أرى ذلك ، والطبرى يقول : « ... عمى البصر لا يتفاوت فيكون أحدهما أزيد عمى من آخر إلا بإدخال أشد أو أبين . فليس الأمر فى ذلك كذلك ، وإنما قلنا ذلك من عمى القلب الذى يقع فيه التفاوت ، فإنما عنى به عمى قلوب الكفار عن حجج الله التى قد عاينتها أبصارهم فلذلك جاز ذلك وحسن »

ممن اطمأن فى هذا العصر إلى كلام النعمان عند كسرى وأخذه قولاً عربياً جاهلياً خالصاً ـ العلامة اللغوى الكبير الشيخ ابرهيم اليازجى[1] ، قال فى مقدمة كتابه (نجعة الرائد) :

« ... إن من اطلع على المأثور من كلام العرب ... أيقن أن هذه اللغة قد انفردت عن سائر اللغات فصاحة وبياناً ، كما انفرد أربابها فى مذاهب البلاغة تبسطاً وافتناناً . وحسب الناظر أن يسرح طرفه فى بليغ منقولها ، ويتأمل ما جاء من البدائع فى محكم فصولها ، من مثل مقالة النعمان فى النضح عن أحساب العرب ، وما ورد عن الإمام على من نوابغ الأمثال وروائع الخطب ، وما جاء بعد ذلك من أقوال مصاقع الخطباء فى صدر الإسلام ... »

وقال فى القدمة فى مقالة النعمان :

« كان من حديث ذلك أن النعمان بن المنذر وفد على كسرى وعنده وفود الملوك من الهند والصين والروم وغيرها وتذاكروا أقوامهم وملوكهم ، فتكلم الملك النعمان ، وافتخر بالعرب ، وفضلهم على سائر الأمم ، ولم يستثن الفرس ، فدخل كسرى منه شىء ، وتكلم فطعن فى العرب ، فأجابه النعمان جواباً طويلاً ... »

ثم نشر مقالة النعمان فى مجلته (الضياء) فى السنة (٧) فى الصفحة (٤٦٠) إجابة لأدباء من قراء مجلته سألوه عنها

وإن كلاماً عربياً جاهلياً منثوراً ليحرص كل أديب أن يقف عليه ليعرف كيف كان الجاهليون ـ يا أخا العرب ـ ينثرون كما يحرص أن يقف على أقوال الصحابة (رضى الله عنهم أجمعين) وعلى أقوال التابعين (رحمهم الله)

* * *

أجتزئ من أدلة الوضع بما أوردت ، وأختم مكتوبى هذا بالثناء على « الرسالة » الغراء وعلى الشاعر الناثر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن الذى دعا أدبه وفضله فيها إلى تأليف هذه السطور .

(...)

(١) فى الكشاف : الأعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدى إلى طريق النجاة ، أما فى الدنيا فلفقد النظر وأما فى الآخرة فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه

(٢) قال : أعمى الأولى بمعنى فاعل وفى الثانية وجهان أحدهما كذلك والثانى هى أفعل التى تقتضى من

(١) وممن صدق حكاية الوفد الكسروى ونشر أقوالهم فى مصنفه الامام العلامة الكبير الشيخ محمود شكرى الألوسى (بلوغ الأرب ج ١ ص ١٥٠) والعلامة الشهير الشيخ حمزة فتح الله (كتاب أدبيات اللغة العربية ج ١ ص ١٠٣)

بمناسبة افتتاح العام المدرسي

أمين ســـامى باشا
ناظر ومدرسة
للأســتاذ راشد رستم

[الخطبة التي ألقاها الأستاذ راشد رستم في الاحتفال بعيد مدرسة الناصرية عن المتخرجين من أبنائها]

لأول مرة وفى أول يوم من أول حياتهم المدرسية صغار، لا يعرف بعضهم بعضاً ولم يجتمعوا فى مثل هذا الحشد أبداً، ما تعودوا غير الحرية والانطلاق، واللعب على الدوام - إذا بهم وقوف فى صفوف، مجمّعين على مواعيد، مفرّقين فى مواقيت؛ وإذا بهم فى فصول وفرق، وإذا بهم فى غرف لا يؤذن لهم أن يجلسوا فيها كما يشاؤون، وإذا ببعضهم فى « عنابر الداخلية » يقضي لياليه بعيداً عن الأهل والإخوان، بعيداً عن الآباء والأمهات

هكذا تنتقل الحياة بهؤلاء الصغار بين ليل ونهار، من حال إلى حال، من فوضى محبوبة إلى تدقيق ونظام

ثم إذا بهم مطلوب منهم ألا يلعبوا دون أن يعملوا، بل أن يعملوا دائبين، فسيحملون الأمانة من جيل ويحمّلونها إلى جيل ...

* * *

تلك حال يواجهها كل تلميذ فى سنيه الأولى إذا هو سلم منها فى أولها سلست له إلى آخرها، وسار على بركة الله وسبحان الفتاح

وإن هو تعب منها فى مبدئها، أتعبته طول وقتها، وهو إذن متبرم منها قلق بها وسبحان الحنان.

* * *

فما قولكم فى ذلك الصغير الذى يواجه هذه العقبة، ولكنه يمر منها على ضوء طلعة صبوح، وفى صحبة روح يشع منها الإطمئنان إليها! وفى رحاب نفس طيبة تشعرك الرضا بها والسكون إليها!

سادتى

ذلك كان حالنا يوم أن اجتمعنا لأول مرة فى رحاب الناصرية

لم يكن « أمين سامى » نبياً ولا ولياً، وما كان رسولاً ولا مبعوثاً إلـهياً، ولكنه كان رجلاً، عاملاً، وطنياً. وكان أميناً وكان سامياً ...

* * *

كان أمين سامى طبيعياً، يسير مع الطبيعة فى بساطتها، كما يقف معها فى دقتها، فلم يكن مُرغماً ولا متعسّفاً

لم يرغم تلاميذه على غير ما تسمح به طبيعتهم، بل يدرس تلاميذه ويدرس طبيعتهم، ثم يسوسهم ويرشدهم ثم يلقنهم ويوجههم

كان يهيئ لتلاميذه جواً مدرسياً محبوباً، يهيئ لهم نخبة من كرام الضباط والمدرسين، هم فى مقام الآباء والمرشدين، يعرفون الفرق العظيم بين « ملف » من شهادات، وكنز من أخلاق

يعرفون أن الخُلُق مخلوق قبل العلم، وأن التلميذ أخلاق قبل أن يكون علوماً، وأن مصر فى حاجة إلى أخلاق

يعرفون أن هؤلاء الشبان الصغار هم هؤلاء الرجال الكبار

يعرفون أن لهم نحو الوطن رسالة وأن عليهم واجباً

وإننا لنفخر إلى اليوم وإلى الغد وإلى الأبد بأننا تلاميذ لأولئك السادة الكرام — رحم الله الأولين الذاهبين وأطال الله حياة الحاضرين.

* * *

إن « المعهد » أمين سامى كان مخلص النية لتخريج الأبناء أعياناً لمصر، ورجالاً لمصر، ونجوماً فى سماء مصر

هكذا كان الغرض وكان الإخلاص، فكان المطلوب وكان المراد

الواقع أننا كنا فى مدرسة تشعرنا بأنها تهيئ لنا جميع وسائل العناية بنا

مدرسة نظيفة معنى ومبنى، نظيفة بكل من فيها وما فيها مدرسة محترمة، تفرض علينا أن نتحلى بكل ما يجعلنا محترمين، تبث فينا الشجاعة والوطنية والإقدام، تشعرنا بأن لنا

مستقبلاً وأن علينا واجباً ، بل أن المستقبل لنا ، وأنه مسؤول منا وأن البلاد تنتظرنا وتنتظر الخير منا .

* * *

كان أمين سامي « الرجل » مثالاً لنا بل ولغيرنا فى هذا وذاك . كان نبيل الطبع نبيه التطبع ، رجولة فى أبوة ، دقة فى رحمة ، مهابة فى سماحة

كنا نترقبه ونتمنى أن نراه ، ونغار من « دار العلوم » إذا أطال هناك بقاءه ...

* * *

كان مثالاً لنا ولغيرنا فى معنى النشاط ومداه

لم يفارقه النشاط أبداً ، فقد كان به مؤمناً ؛ بل هو نشاط المؤمن

لم يفقد نشاطه رغم ما شدّت عليه الحادثات من فقد العزيز وطول العمر

وكان كلما تقدم فى السن سيَّر النشاط وفق السن ، فهو لم ينزل عنه وإن سلَّم بالدرجات فيه

فخره أنه لم يكن عجوزاً ولا عاجزاً ، بل كان دائماً قادراً ماهراً ، ولقد جمعنا حوله فى حياته ؛ وها هو اليوم يدعونا فيجمعنا لتخليد ذكراه مثالاً لنا لا ننساه .

* * *

ها نحن أولاء ، أبناء الناصرية ، نجتمع اليوم من عهود مختلفات ، وسنين متباعدات ، ولكن ألا يجمعنا جميعاً ذلك اليوم الذى يرجع بنا إلى عهد جدول الضرب وحصة المحفوظات !

ألا عودوا بنا لحظة إلى تلك العهود

ألسنا نتمناها جميعاً رغم ما كان فيها من رجفات الامتحانات !

ألسنا نحيا بذكراها اليوم سعداء ، وسط هذا العالم المضطرب ، وسط هذه الألوان من حياة الانفعالات !

نعم

لا يلبث القرناء أن يتفرقوا ليـــل يكر عليهم ونهـار

إنمـا

من عنده لى عهدٌ لا يُضيِّعه كما له عهد صدق لا أُضيِّعه

* * *

نعم . إننا هنا اليوم مع أبناء اليوم ولكننا هناك فى ذلك اليوم

أليس كذلك يا زميل التختة الواحدة ؟

أليس كذلك يا زملاء المائدة الواحدة ؟

أليس كذلك يا زملاء « العنبر » الواحد ؟

أليس كذلك يا زميل « العيش الحـاف ، والحبس بعد الانصراف » ؟

* * *

إن للناصرية طابعاً على كل من ورد عليها

وإن لنا لحنيناً إلى تلك الأيام الحلوة برغم « زنزانة » الحبس بالانفراد

إلى تلك الأيام الناضرة ، وإن كانت قد ذهبت مع التاريخ فى سجل الماضى البعيد ، وإن كانت كذلك تم لنا على ما دارت به معنا عجلات السنين من عدد السنين

وهل فى الوجود معنى هو أحب إلى الرجل من عهد الصبا ،

ولا أسرع بالنفس ذهاباً إليه مهما بعد الحاضر عنه

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا ...

* * *

وأما أنتم يا أولادنا الصغار بل يا إخوتنا الصغار ، يا أبناء الناصرية فهى أمنا جميعاً ، الآباء والأبناء سواء . أنتم أملها الجديد ، ارتبطوا بها وحافظوا عليها

إنكم مخلوقون لزمان غير زماننا ، وقد تهيأت لكم ظروف غير ظروفنا ، نرجو أن تكونوا خيراً وأبعد أثراً .

على أنه وإن كان لكل زمان ملابساته فإن جواهر الحقائق والفضائل باقية لم تتغير ، فالاجتهاد لا يزال محموداً ، والإخلاص لا يزال منشوداً ، والجهاد لا يزال مفروضاً

أنتِ الغراس ومنكِ الخير ينتظر

ما طاب أصل وخاب الفرع والثمر

احملوا الأمانة من جيل وسلموها إلى جيل

سادتى :

هذه هى الناصرية وهذا هو أمين سامى ، وهذا هو المورد ، وقد كنا ممن استسقى وورد ، فشرب وارتوى وحمد

راشد رستم

مراجعات

شعراؤنا والناقد العبقرى ...

للأســتاذ دريني خشبة

لن أثور كما ثار الدكتور مندور يا حضرات القراء ، ولن أسمح لأعصابى أن تتمزق على هذه الصورة المضحكة التى تعرض صاحبها لرثاء قرائه وطلبهم المغفرة له ، وذلك لأننى دعوت الأدباء فى مصر أن يضبطوا عواطفهم – فى الصيف – وما كنت أظنهم يهملون صمامها ونحن على أبواب الشتاء

وقد قدح الدكتور مندور فينا بالذى قدح ، غير أننا نثنى عليه بما هو له أهل من أكرم الثناء ... فقد سعدنا بصداقته قريباً ، ودافعنا عن رجولته التى غمزها صديقنا الكاتب المعروف الذى أغضبه منا هذا الدفاع ، وعزاه إلى خصومة قديمة توهمها بيننا وبينه ، مع أننا أزهد الناس فى الخصومات الأدبية وأحوجهم إلى معونة الأدباء بصدد الدعوة التى ندعو إليها

نثنى على الدكتور مندور فنقرر أنه أعلم منا بالموضوع الذى أتيناه له ووجد فرصته فيه ، فانطلق يكتب هذه الفصول القيمة التى سنقرؤها وحدنا – أو مع خمسة أو عشرة على الأكثر من حضرات القراء الذين يعنيهم هذا الموضوع

الدكتور مندور يا حضرات القراء أعلم منا فى موضوع أوزان الشعر الأوربى لأنها من ضمن ما تخصص حضرته فيه ، ونال عليه الدرجات العلمية العُلى ، فهو إذا تكلم فيها ، تكلم عن علم وبصيرة وخبرة

لكننا مع هذا لا نرى أن يمنعنا أحد من التكلم فى أى موضوع نشاء ، إلا فى الطب والهندسة والصيدلة والكيمياء ، وما إلى ذلك من الموضوعات التى لا تصلها بالأدب صلة ، فهل أعاريض الشعر من هذا القبيل ؟

سيقول الدكتور مندور ، أجل ، هى من هذا القبيل ، بدليل أنك تكلمت فى طرف ضئيل منها ومع ذاك فقد (أخطأت وأوهمت وتوهمت وضَلَلْت وضلّلت وموهت ولم تتحر الدقة بل ترديت فى الخطأ البين فى أبحاثك التى تحشدها ...) إلى آخر هذه المجموعةَ الوافية من العبارات الشافية الكافية التى أسبغها علينا الدكتور الصديق محمد مندور ، الذى كنا نتمنى أن نراه وهو يكتب هذا الفصل المنفعل الصاخب الظريف الذى صبَّ حممه فوق رأسنا !

وقبل أن نداعب أخانا مندور بما هو له أهل من المداعبة ، وقبل أن نكشف الغطاء عما هاجه علينا وأحفظ صدره منا ، نتناول تجهيلاته التى جهّلنا بها ، فنرى كيف أوقعتنا المقادير فى ظلماتها حتى أعمتنا – والعياذ بالله – هذا العمي المطلق الذى لم تره غير عين صديقنا العزيز

عند ما قلنا إن أساس العروض الأوربى هو التفعيلة لا البحر فهم حضرة صديقنا العروضى المحترم أننا ننكر وجود البحور فى الأعاريض الأوربية وعلى هذا بنى بحوثه القيمة ، مع أننا ذكرنا كثيراً من هذه البحور فى الحاشية التى أثبتناها فى ذيل مقالنا وقلنا إن هذه التفعيلة هي أساس البحر (الفلانى !) ومن هذه التفعيلة ومن تلك يتكون البحر (الفلانى) ، وإنما قصدنا بأن التفعيلة هى أساس العروض الأوربى أن الشعراء هناك أكثر حرية فى استخدام هذه التفاعيل فلا يتقيدون بعددها فى السطر (أو البيت) كما يتقيد شعراؤنا هذا التقيد الذى عبناه عليهم ولا نزال نعيبه عليهم . فمجرد (توهم) أننا ننكر وجود هذه البحور هو دليل الأعصاب الممزقة والموجدة التى تأكل قلب الصديق الحميم علينا للسبب الذى سنبينه بعد أن نرد ترهاته كلها . والمقال موجود أيها القراء بالرسالة (العدد ٥٣٨) ، فقوله إذن إن كلامنا لا معنى له مطلقاً هو كلام يشبه الهوَس ، ونحن مع ذلك نعذره لأن معرفتنا بالدافع الذى أطلق لسانه فينا يفقد العقلاء عقولهم . وقد منعنا من تناول هذه البحور بالشرح الذى شمر له صديقنا الحميم عن ساعد الجد ما قلناه فى صلب المقال من (أنه ربما لا يسر القارئ ، بل ربما يضايقه جد المضايقة أن نخوض به فى شىء من معميات العروض الإنجليزى) ... وربما أوهمه اقتضابنا هذا لذاك السبب أننا (إنما نوهم ونتوهم أننا نعرف شيئاً ...) إلى آخر هذا السَّفَه الذى نمر به كراماً لأن صديقنا الحميم قاله فى ساعة من ساعات الانفعال الذى سنذكر سببه كما قدمنا

ويعيب علينا السيد مندور أننا قرأنا المعلومات التى سقناها فى كتيب من كتيبات العروض ثم استعنا فى شرحها بالقاموس ؛ وهذا ، لو أنه حصل ، لا يضيرنا قط ، ولكنه يضير الصديق

الجيم كثيراً ، لأنه يدل على أنه كان فاقداً لتوازنه وهو يكتب هذا الهذر ، إذ كيف يقرأ الإنسان في كتاب من كتب العروض ، ثم يحتاج إلى القاموس مع أن كتب العروض الإنجليزي لا تترك صغيرة ولا كبيرة إلا تناولتها بالشرح . . . على أنني لم أفهم لماذا يعيب السيد مندور الرجوع إلى القاموس أو الاعتماد عليه في شرح كلمة من الكلمات ؟ هل ذلك لأن المعلومات التي في تلك القواميس تكون خطأ عادة ؟ وكيف يا أخي يصح هذا ؟ وكيف ياسيد العروضيين تغفل انجلترا ويغفل الإنجليز عن هذا الخطر الذي جاء السيد مندور ليكتشفه لهم صبيحة يوم الأحد في السابع من نوفمبر سنة ١٩٤٣ ؟! تالله لقد نبهتني إلى (قفشة) أقفشها لك ، فقد أحسست من ثنايا كلماتك أنك رجعت إلى تلك القواميس كما لم يفعل العبد الفقير إلى الله ، لتنظر في معنى بعض تلك (المعميات) كما سميتها أنا رفقاً بالقراء ، فلما وجدت القواميس تنصر حقي على باطلك ، وتواضعي على ادعائك العريض ، عجلت فأردت توهين هذه الحجة التي أقذف الآن بها عليك لتدمغك ، بالرغم من درجاتك العلمية الجامعية التي لا أنكرها قط ، ولا أقدح فيها قط

إسمع يا صديقي الجيم ما جاء في قاموس القرن العشرين في مادة Alexandrine :

A rhyming verse of twelve syllables, six iambic feet, so called from its use in old French poems on Alexander the Great. It is the ordinary verse of French tragedy.

ومعنى هذا اللغو (في نظر الأخ مندور) أنه بحر (من بحور النظم) يتركب من اثنى عشر مقطعاً ، ست تفعيلات إيامبية ، وقد سمي كذلك من أجل ما استعمل فيه في القصائد الفرنسية القديمة ، عن الإسكندر الأكبر وهو البحر الشائع في المأساة الفرنسية

فهل قلنا نحن غير ذلك يا سيد مندور ؟ إليكم ما قلناه أيها القراء ، مما نقله الدكتور الفاضل بقلمه عن مقالنا : « ويفضل بعض الشعراء البحر الأسكندري ، نسبة إلى الإسكندر الأكبر والقصائد التي نظمت فيه من هذا البحر . ويؤثر شعراء المأساة الفرنسيون النظم من هذا البحر إطلاقا ، وهو يتكون من اثنى عشر مقطعاً (ست تفعيلات إيامبية × مقطعين)

فأينا الذي لم يتحر الدقة ووقع في الخطأ البين كما قال الدكتور مندور الذي نال درجاته العلمية في هذا العلم ؟ أينا المخطيء أيها القراء ؟ أنا أم قاموس القرن العشرين ، أم الدكتور مندور الذي تخصص في أعاريض الشعر قديمها وحديثها ؟ على أننا نرجع إلى لاروس ـ القاموس الفرنسي المحترم ـ لنرى ماذا يقول هو الآخر : فهو بعد أن جاء بالرواية التي ذكرها السيد مندور ، ويضيف إليها أنه يتركب من اثنى عشر مقطعاً كما ذكرنا نحن وأنكره الأخ العزيز المتخصص في أعاريض الشعر ، يقول :

C'est le vers heroique, le vers de l'epopée, de la tragedie, des grands poémes.

فأين الخطأ البين الذي وقعنا فيه يا عالم ؟! لعل الأخ مندور ـ المتخصص في الأعاريض بأنواعها ـ أخذ علينا نسبة هذا البحر إلى الإسكندر من القصائد التي نظمت فيه من هذا البحر وعدم نسبته بالذات إلى أل Roman d'Alexandre ؛ فاسمعوا يا أصدقائي القراء ـ وأنا في حاجة إلى تملقكم بهذه النداءات الظريفة ـ ما تقوله دائرة المعارف البريطانية من هذا البحر ، فهي بعد أن تذكر أنه هو البحر الرئيسي في الشعر الفرنسي ، وأنه يستعمل عادة في الشعر القصصي والمآسي والملاهي الرفيعة ، تقول عن أصل تسميته :

There is some doubt as to the origin of the name, but most probably it is derived from a collection of romances published early in the 13 th century of which Alexander of Macedon was the hero.

ومعنى هذا : أنه يوجد بعض الشك بالنسبة إلى منشأ اسم هذا البحر إلا أن أكثرها احتمالا أنه مشتق من مجموعة من الروايات الشعرية ذاعت إبان القرن الثالث عشر ، وكان الإسكندر المقدوني بطلها .

فما رأى الأستاذ مندور في هذا الهذيان الذي لفت به دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تصنيفها ساداتنا جميعاً من علماء الأمة الإنجليزية ، والذين هم بلا شك أساتذتك وأساتذتي في العروض وفي العلم وفي الأدب وفي ضبط الأعصاب أيضاً ! إنهم لم يقصروا تسمية هذا البحر كما فعلت أيها المتخصص في الأعاريض الأوربية التي ذكرت والتي ذكرها لاروس ، بل قالوا كما قلنا ـ نحن الفقراء إلى الله الذين لم نتخصص في هذا العلم ، لأنه ، وحياة ذقنك ، لا يحتاج إلى هذا التخصص أبداً ، قالوا إن ثمة شكاً في

أصـل هـذه التسمية ، وإن أكثر الروايات احتمالا نسبته إلى الـ Romances التى نظمت فى الإسكندر المقدونى

فأين إذن عدم اللغة ، وأين إذن هذا الخطأ الفاحش الذى تردينا فيه ، وأين هو التوهم والإبهام والضلال والتضليل ، وما تتخيله من أننـا نعرف شيئاً ونحن لا نعرف شيئاً قط ؟ ! عفا الله عن مستر هايد الذى كان يلقى عليك هـذه الوقاحات يا دكتور جيكل ، فى ساعة من ساعات عدم الوعى التى يذكر إخوانك أنها كانت تنتاب جيكل المسكين كلما طار أحد أبراج عقله الجبار ...

أما تعبيرى عن المقاطع بالطول والقصر وأنه لا ينطبق (بسهولة) على العروض الإنجليزى فقد آثرته ليفهمه الشعراء الذين أكتب لهم ممن درسوا أعاريض الشعر العربى ولم يلموا بلغة أجنبية ، وسأجملك تطير من الفرح حينما أنقل لك هنا تفسير أحد القواميس التى لا يعجبك النقل عنهـا لإحدى التفعيلات ، كى تقول لقرائك . ألم أقل لكم إن جل اعتماده على القواميس !

إسمع ما يقوله قاموس القرن العشرين فى تفعيلة Amphibrach

A foot of three syllables — a short, a long a short

أى :

an accented syllable between two unaccented.

فهل قلت أنا غير هذا الذى قاله هذا القاموس الجاهل أو دائرة المعارف التى ليس عندها علم السيد مندور ؟ ولقد ضربت لذلك مثلاً لاحظت فيه أن يشمل الارتكاز stress الذى نبه إليه حضرة الناقد اللوذعى فقلت مثل : (رَيْعانِهْ) ، ولاحظت وجود الارتـكاز فى كل ما ضربت من أمثلة عربية

وبعد . فماذا بقى مما جَهَّلنا به السيد مندور لم نرد عليه ؟

وبعد أيضاً ... فـماذا يقول القراء فى سائر الآفاق عن هذه اللهجة التى ينحط إليها أدب الناظرة فى مصر ؟

وبعد . وبعد ؛ فـما سبب هذا الموقف الذى يقفه منا فجأة هذا الدكتور مندور ؟

اسمعوا إذن ياحضرات القراء

ليس صحيحاً أنه يقف هذا الموقف لأننى دافعت عن رجولته التى غمزها هو نفسه بالذى غمزها به صديقنا الـكاتب المعروف ، كما يتفكه أصدقاؤه وأصدقائى فى القاهرة ... وليس صحيحاً أننا نقتسم فيما بيننا تركة ، فالدكتور ليس من أقربائى ، وإن كان ذلك كان يسرنى ويشرفنى

ولـكن المسألة أن الدكتور مندور يدأب منذ طويل فى الطعن على شعرائنا المصريين بدون استثناء ، وتجريحهم ، والحط من شأنهم ، بل فى تجريدهم من شاعريتهم ، وتفضيل شعراء المُهَاجَر عليهم ، أولئك الشعراء الذين نجلهم ونحبهم ونعرف لهم فضلهم ومعاونتهم فى نهضتنا العربية الأدبية الـكبرى . . . لـكن أحداً لم يذهب إلى تفضيل هؤلاء الشعراء الأفاضل عامة على شعرائنا عامة غير الدكتور مندور ، وهو يستشهد فى هـذه الدعوى بقطع تدل على مبلغ تذوقه للشعر ، ومدى مقدرته على الموازنة بين الشعراء . وقد غضبنا لهذه الخطة الجائرة ، لا تعصباً أعمى لشعرائنا ، وإن يكن التعصب البصير دَيْنًا لهم فى أعناق الـكتاب المصريين جميعاً ، ولـكن لأن الدكتور قد جاوز حد الدعابة إلى حد الجد ، وأقول حد الدعابة ، لأننى حسبته إنما يداعب شعراءنا أول الأمر ، ولأن الموازنات التى ذهب إليها كانت كثيراً ما تغثى النفس وتقبض القلب ، وتتعمد الغض من أقدار الشعراء المصريين تعمدا باطلا بلغ حد الخطورة على سمعة الأدب المصرى والشعر المصرى ، الذى هو مع ضيق آفاقه التى نشكو منها دائماً ، ألمع مظهر من مظاهر هذا الأدب

فى مقالنا عن — تجديد الأدب العربى — بالعدد (٥٣٥) من الرسالة ، كتبنا كلمات ثناء على شعرائنا الشيوخ تنفى بها ما كان يحتمل أن يُفهم من أننا نقتصر الرجاء على شعرائنا الشباب فى القيام بتجديد الشعر العربى شكلاً وموضوعاً ، فلما بلغنا الـكلام عن الأستاذ العقاد قلنا إننا كنا نضع فيه أملنا للنهوض بأعباء تلك الثورة ، لـكن أملنا هذا — خاب — بهذا التعبير ، حتى لا يظن أحد أننا إنما نحتمى بأحد فى ردنا على صديقنا مندور ... وذلك لأن العقاد آثر أن يسلك الطريق القديمة للشعر العربى شكلاً وموضوعاً ... ولـكننا قلنا قبل هذا فى المقال نفسه ... « أما العقاد العظيم فهو شاعر المعانى غير مدافع ، والذين زعموا أنه لا شأن له بالشعر هم قوم قليلو البصر بالشعر ، بل ربما كان الأحسن ألا يكون لهم هم شأن بالشعر ، ولو أن العقاد كان يعنى بديباجته وتجويد أسلوبه الشعرى لخر أمامه أولئك النقاد جثياً ... »

هذا ما قلناه نثبته هنا لأنه هو الذى أحفظ علينا الأستاذ مندور وذلك لأنه هو قائل تلك القولة الجريئة التى تدل على قيمة

أوزان الشعر

٣ – الشعر العربي

للدكتور محمد مندور

ليس من شك في أن الخليل بن أحمد كان رجلا عبقرياً نفخر به مع من نفخر بهم من أجداد . ولكن العلم لا يعرف الوقوف ، ولقد تقدمت الدراسات اللغوية تقدما يحملنا على أن نطمع إلى معرفة أدق من معرفة الخليل بالعناصر الموسيقية فى شعرنا العربي .

والذى لا شك فيه أن الخليل قد وضح حقيقة أساسية فى الشعر العربى لا نستطيع أن نغفلها ، وهى انقسام كل بيت إلى تفاعيل متساوية ، كما هو الحال فى الرجز والهزج وغيرها ، أو متجاوبة (التفعيل الأول يساوى الثالث والثانى يساوى الرابع) كما هو الحال فى الطويل والبسيط وغيرها . وهذا التقسيم من أسس الموسيقى والشعر عند الأوربيين اليوم ؛ فهناك وحدات موسيقية متساوية isometriques وأخرى متجاوبة symetriques كما وضح الخليل .

ولكننا لا نكاد نترك وجود التفاعيل إلى بنية تلك التفاعيل حتى نختلف مع الخليل ، وذلك لأنه لم يدلنا على وحدة الكلام وهى المقطع . وأكبر ظنى أن الخليل لم يعرف العروض اليونانى وإلا لفطن إلى المقطع ، وإن يكن قد علم فيما نرجح بالموسيقى اليونانية بفرعيها : (علم الإيقاع La rythmique وعلم الانسجام Les harmoniques) . والعروض اليونانى كما هو معلوم يقوم على المقطع ، والسبب الذى منع الخليل من الوقوع على المقطع مزدوج فيما أظن :

١ – عدم كتابة الحروف الصائتة القصيرة voyelles brèves التى نسميها حركات (الفتح والضم والكسر) فى صلب الكتابة العربية التى لا تزال إلى اليوم مقطعية إلى حد بعيد ، بمعنى أننا نكتفى برسم الحروف الصامتة ، وأما الصائتة فلا تكتب إلا الطويل منها (الألف والواو والياء) . فكتابتنا وسط بين الكتابة الفينيقية والكتابة الإغريقية ، ومن الثابت تاريخياً أن الإغريق عند أخذهم بالكتابة الفينيقية قد أضافوا إليها رسوما خاصة للحروف الصائتة كلها طويلة وقصيرة . وأبنى على ذلك أن الخليل لم يفطن إلى أن الحروف الصائتة القصيرة تكون مع الحرف الصامت Consonne الذى توضع فوقه كحركة مقطعاً تاما مستقلا . ولهذا اكتفى فى تقطيع التفعيل بالحروف التى تكتب مميزاً بينها بالحركة والسكون .

أحكامه « الملائمة ! » كما عبر عنها مناظره الأستاذ المعروف ، والتى يصدرها فى غير وعى ليهدم أمجاد شعرائنا والعقاد ومدرسة العقاد فى مقدمتهم ... الدكتور مندور هو الذى قال : إن العقاد لا شأن له بالشعر ، وهو قول يكفى للرد عليه أن نقول ما قلنا ، لأن الذين يقولون هذا هم قوم لا بصر لهم بالشعر حقاً ، بل ربما كان الأفضل ألا يكون لهم شأن بالشعر على الإطلاق ... نقولها اليوم صرحاء بعد إذ كنا نلمح بها تلميحاً عسى أن ترعوى تلك الطائفة من الكتاب الذين لا هم لهم إلا هدم شعرائنا الذين نعتز بهم جميعاً وبلا استثناء لأنهم أعز علينا من ألف كاتب فج من أمثالهم ... ونحب أن نطمئن قراءنا وأن نطمئن الصديق الحميم الأستاذ مندور ، فنحن لم نر العقاد فى حياتنا إلا مرة واحدة فى مأتم ، ولسنا نطمع فى صداقات جديدة بعد الذى بلوناه من صداقة السيد مندور ، ولكننا مع ذلك نعرف العقاد ونقرأه من نحو ثلاثين عاماً وقد كتبنا عنه سنة ١٩٣٠ ، إذ هو سجين فى ذلك الوقت ، مقالاً تجفل منه الأبالسة ، بالمجلة الجديدة قدرنا فيه العقاد الشاعر والعقاد الكاتب ، مما كان سبباً فى الأخذ بتلابيبنا فى ذلك العهد الرجعى الأسود لا أعاده الله ... ومع ذلك فنحن ما زلنا نقول إن العقاد خيب آمالنا فيه ، وعسى أن يسعدها إن شاء الله ، أما أن نقول إنه لا شأن له بالشعر ، فنكون مجانين – نحن فقط دون تعريض بأحد – إذا لغونا بذلك مع من يلغون به ...

والعقاد على هذا من « الشعراء الكبار الذين يعجبوننا » كما زل قلم السيد مندور فى مقاله ليسجل على نفسه الداعى الذى دعاه إلى كتابة ما كتب . وفرق بين أن يتفقه المرء فى أعاريض الشعر ، وبين أن يكون شاعراً ، أو أن تكون له موهبة تذوق الأشعار وإصدار الأحكام عليها

وسنأخذ قريباً إن شاء الله فى نشر دراسات هادئة لكثيرين من الشعراء المصريين شيبهم وشبابهم لتبصر الذين كفروا بأمجاد الوطن بما ضلت أعينهم عن إدراكه من آيات العبقرية المصرية

وبعد ... فإنى أعتذر للقراء عما فرط به القلم من لغو القول فى هذا الحديث ولن أرد على لغو آخر قط .

دريني خشبة

٢ — السبب الثانى هو أن اللغة العربية كغيرها من اللغات السامية تغلب فيها الحروف الصامتة فيما يرجح ، وتلك الحروف يقع منها عادة الوقف ، أى السكون ، ولهـذا لاح للخليل أن التتابع إنما يقع فى الحركات والسكنات ، بينما نجـد فى لغة كاللغة اليونانية أن الحروف الصائتة هى الغالبة ، ولهذا لا نحس فيها بالسكنات الموجودة فى اللغة العربية ، بل نحس فوق كل شىء باختلاف كم الحروف الصائتة فى تتابعها .

هـذان السببان لا يجوز أن يحجبا عنا الحقيقة اللغوية التى تصدق على كل لغة وهى أن المقطع هو وحدة الكلام . وفى اللغة العربية أربعة أنواع من المقـاطع هى : (١) المقطع القصير المفتوح ، وهو المكون من حرف صامت وحرف صائت قصير (حركة) مثل المقاطع الثلاثة فى كَـتَـبَ (٢) المقطع الطويل المفتوح وهو المكون من حرف صامت وحرف صائت طويل (ألف أو واو أو ياء — حروف اللين) مثل « كا » فى كانت (٣) المقطع الطويل المزدوج وهو المكون من حرف صامت وحرفين صائتين مثل بَىْ bai فى بيت مع احتفاظنا بالمناقشة العلمية التى تدور حول طبيعة الياء فى هذا المقطع أهى صائتة أم صامتة (٤) المقطع المغلق وهو المكون من حرف صامت ، ثم حركة فحرف صامت آخر نحو « نُن » فى بيتٌ والحرف الصائت فى هذا المقطع قصير دائماً ؛ فهذا قانون هام من قوانين اللغة العربية وليس له استثناء إلا فى حالات محصورة أهمها حالات الوقف على الإسم المنون مثل « نارْ » ؛ فهى تتكون فى هـذه الحالة من مقطع واحد مغلق حرفه الصائت طويل ، وكذلك الوقف فى حالتى التثنية والجمع مثل محمدانْ ومحمدونْ ، فالمقطع « دان » والمقطع « دون » كل منهما حرفه الصائت طويل ، وإذن فالقانون العام هو قصر الحرف الصائت فى المقطع المغلق ؛ فهل نعتبره مقطعاً طويلاً أم قصيراً ؟ الواقع أنه مقطع طويل ويأتيه الطول من الزمن الذى يستغرقه الحرفان الصامتان ؛ فهذا الزمن لا بد من حسابه وإن لم يحسبه علماء العروض الإغريقى واللاتينى . ولقد أثبت البحث الحديث أنه من الواجب أن يحسب كم الحروف الصامتة فى كافة اللغات ومن باب أولى فى اللغات السامية حيث تغلب تلك الحروف . ثم إنه إذا كان فى كافة اللغـات حروف آنيـة momentanées كحروف الانفجار (باء وفاء مثلاً) ؛ فإن هناك حروفاً ممادة continues كالسين واللام مثلاً ، فهذه من الممكن أن نمد فى نطقها كما نشاء . وإذن فالمقطع المغلق نعتبره طويلاً

ونخلص من هذا إلى وجود مقاطع فى اللغة العربية . وهذه المقاطع تختلف فى كمها . فهل نستنتج من ذلك أن الشعر العربى كمي بمعنى أن كل تفعيل فيه يتكون من مقاطع مختلفة الكم بنسب محددة ؟

ذلك ما رآه المستشرق إوالد Ewald فقد وضع للشعر العربى عروضاً على غرار العروض اليونانى وهو عروض مستقيم سهل الفهم مبسط عن عروضنا تبسيطاً كبيراً . ولقد درسناه فى العام الماضى للطلبة بالجامعة فأجادوا فهمه . ويستطيع القارىء أن يجده فى الجزء الثانى « من قواعد اللغة العربية » Arabie Grammar للمستشرق المشهور ريث Right ، ولكننا مع ذلك لا نقر إوالد ومن نحا نحوه من عامة المستشرقين فى اكتفائهم برد العروض العربى إلى المقاطع الكمية كما هو الحال فى العروض اليونانى واللاتينى ، وذلك لأنهم لم يبصروا بالإيقاع Rythme ؛ فالكم كما قلنا لا يكفى لإدراك موسيقى الشعر بل لا بد من الارتكاز الشعرى الذى يقع على كل تفعيل ويعود فى نفس الموضع على التفعيل التالى وهكذا . ولقد كان للخليل على المستشرقين ميزة الإحساس بهذا الإيقاع فتتابع الحركة والسكون على نسب محددة يوضح ذلك الإيقاع ولا كذلك تتابع المقاطع المختلفة الكم .

(للكلام بقية) **محمد مندور**

٣ - جامع احمد ابن طولون

[حديث ألقى فى نادى التجارة فى ليلة القدر]

للأســـتاذ أحمد رمزى بك
قنصل مصر فى سوريا ولبنان

يذكر المؤرخون الشيء الكثير عن هذا الجامع ، فيقولون : إن ابن طولون رأى الصناع يبنون فى الجامع عند العشاء ، وكان ذلك فى شهر رمضان . فقال : متى يشترى هؤلاء الضعفاء إفطاراً لعيالهم وأولادهم ؟ اصرفوهم العصر فصارت سنة بمصر معمولاً بها إلى اليوم

ويروى أنه فى يوم الجمعة التى صلى فيها ابن طولون لأول مرة ، قام الخطيب فدعا للخليفة العباسى وولده ونسى أن يذكر أمير مصر وعزيزها ثم تنبه لذلك فقال : « الحمد لله وصلى الله على محمد ، ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً ، اللهم واصلح الأمير أبا العباس احمد بن طولون مولى أمير المؤمنين »

* * *

ثم انتهت دولة آل طولون ، وزالت آثارهم ، فما بقى لهم سوى هذا الجامع الخالد يذكر الناس بهم وبأيامهم ، وبمجدهم وهل كان مجدهم إلا مجد مصر ؟

ذكر صاحب النجوم الزاهرة من حوادث سنة ٢٩٢هـ « وزالت الدولة الطولونية وكانت من غرر الدول ، وأيامهم من محاسن الأيام »

وقال أيضاً : ولقد بكى الناس والشعراء دولة آل طولون وقالوا من المراثى الشيء الكثير وذكر ما قال فيهم اسماعيل ابن أبى هاشم :

قف وقفة بفناء باب الساج   والقصر ذى الشرفات والأبراج
وربوع قوم أزعجوا عن دارهم   بعد الإقامة أيما إزعاج
كانوا مصابيحاً لدى ظلم الدجى   يسرى بها السارون فى الأدلاج
كانوا ليوثاً لا يرام حماهم   فى كل ملحمة وكل هياج
فانظر إلى آثارهم تلق لهم   علماً بكل ثنية وفجاج

وقال سعيد القاص :

وكان أبو العباس احمد ماجدا   جميل المحيا لا يبيت على وتر
كان ليالى الدهر كانت لحسنها   وأشراقها فى عصره ليلة القدر

وقال ابن أبى هاشم :

يا منزلاً لبنى طولون قد دثرا   سقاك صوب الغوادى القطر والمطرا
يا منزلاً صرت أجفوه وأهجره   وكان يعدل عندى السمع والبصرا
بالله عندك علم من أحبتنا   أم هل سمعت لهم من بعدنا خبرا ؟

لبيك يا ابن أبى هاشم لقد سمعت لهم خبراً ولكن بعد ألف عام من شعرك : إذ فى سنة ١٨٩٠ بينما كانت لجنة حفظ الآثار العربية تنقل بعض الأنقاض للمحافظة على هذا الجامع العتيق ، عثرت على بعض قطع من الرخام ، جمعت ورتبت فتألف منها اللوح الموجود الآن وهو بالكتابة الكوفية جاء فيها بعد آيات قرآنية ما يأتى :

« أمر الأمير أبو العباس أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين أدام الله له العز والكرامة ، والنعمة التامة فى الآخرة والأولى ، ببناء هذا المسجد المبارك ، الميمون من خالص ما أفاء الله عليه ، لجماعة المسلمين ابتغاء رضوان الله والدار الآخرة ، وإيثاراً لما فيه تسنية لدين ، وألفة المؤمنين ، ورغبة فى عمارة بيت الله وأداء فرضه ، وتلاوة كتابه ، ومداومة ذكره ، إذ يقول الله تقدس وتعالى : فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ... »

« فى شهر رمضان من سنة خمس وستين ومائتين »

وقد أجمع العلماء على أن هذه الكتابة أقدم كتابة تاريخها ثابت معروف من كتابات الآثار العربية

رحم الله صاحب الجامع وطيب ثراه

وتقلبت الليالى وتعاقبت الدول ودخل القائد جوهر على رأس جيش من إخواننا أهل المغرب فى خدمة دولة ناشئة ذات صولة ومجد وقوة ، وكانوا أهل دعوة وأتباع مذهب وأمامة . وقد دانت لهم دنيا المغرب ، ونزلت على إرادتهم الأمم . ألم ترفع

ألويتهم على سردينيا وصقلية ؟ ألم تدفع لهم مدن إيطاليا الجزية ؟ ألم يمخر أسطولهم عباب البحار ؟ وفى يوم الجمعة ١٨ ربيع الآخر سنة ٣٥٩ هجرية ، دخل القائد المنتصر بعسكر كثيف جامع ابن طولون فأقام الجماعة ، وجهر المؤذنون بآذان : حى على خير العمل ، فكان أول آذان شجى جهر به فى أرض الكنانة ، وصلى بالقوم عبد السميع بن عمر العباسى ، وخطب الناس وأطال . ويذكر المؤرخون أنه جاء وعليه قلنسوة وطيلسان دبسى ، وأنه زاد عقب الخطبة المعتادة ما يأتى :

« اللهم صلى على محمد المصطفى ، وعلى على المرتضى وعلى فاطمة البتول وعلى الحسن والحسين سبطى الرسول ، الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . اللهم وصل على الأئمة الطاهرين آباء أمير المؤمنين . ودعا للقائد جوهر ، وجهر باسم الله الرحمن ، وقرأ سورة الجمعة ، والمنافقين فى الصلاة ، وقنت فى الركوع فكان يوماً تاريخياً خالداً فى حياة مصر العربية التى دخلت فى طور جديد بدأته بجامع ابن طولون

هذه ذكريات توحيها وقفة أمام المحراب الكبير ، بأعمدته الرخامية ذات التيجان الأربعة ، والتى تملك النفس حينما تنظر إلى ما هو من جمال الرخام الملون والفسيفساء المذهبة ، ثم الكتابة الكوفية الفاطمية الفائقة الجمال فى تنسيق الخط وتزهيره . فإذا اتجهت إلى اليمين ، فهناك محراب آخر من العهد الفاطمى ، عليه اسم الأفضل والمستنصر ، وهناك غير ذلك من آثار ذلك العهد ، فإذا مررت بها فاذكر أياماً لهم ، وترحم عليهم ، فقد جد الفاطميون وأنشأوا وصانوا ولهم الأيادى البيض . وهم إن اختلف الناس فيهم وتباينوا فى الحكم عليهم فنحن فى زمن تعالى عن نزعات الماضى

(للحديث صلة) أحمد رمزى

الريف المصرى

للأستاذ محمد طاهر الجبلاوى

أشرق الضوء على كوخى الصغير   فى ظلال الريف والخلق نيامْ
فتنبهت على صبح نضير   ناعم الأنفاس عذب الابتسامْ

كشف الستر عن الكون القرير   بيد من فضة فى عسجدِ
فتجلى وجه الصافى المنير   يعد النفس بيوم مسعد

وصياح الديك من فوق اليفاعْ   هاتفاً يبعث فى الأفق الطربْ
يا له من شاعر هز البقاع   حين حيا بالنشيد المقتضب

والعصافير على أشجارها   صادحات بأفانين الغناءْ
أى روح حل فى أوكارها   فأشاع البشر فيها والصفاء

وخوار وثغاء وبغامْ   باديَ البهجة فى كل مكانْ
هى موسيقى نشوز وانسجام   تُبعث الدنيا بها فى مهرجان

ونباح الكلب من خلف الغنمْ   فى انتباهٍ وصراح واقتحامْ
هزه الوجد وأشجاه النغم   فجرى فى نشوة بين الزحام

منظر فى الريف يستهوى الجَنانْ   أين منه ضجة فى المدنِ
كل ما فيه جمال وحنان   خالد الحسن خلود الزمن

وترى الفلاح رحب المنكبيْن   باسطاً كفيه مثل الباشقِ
يرمق الزرع بعين أى عين   وفؤاد كفؤاد العاشق

هو فى الحقل عزيز الجانبْ   وله فيه مضاء وأملْ
ليس يغرى بنعيم كاذب   أو يرى حِلف خمول وكسل

فأسه تنبض فى قبضته   وهى فى الحق حديد وجمادْ
عزمه الصادق فى حدته   بعث القوة فيها والجلاد

يبذر الحب ويرجو الثمراتْ   فى رضاء ووقار خالب
حينما سار يبث البركات   وهو يسعى فى مسوح الراهب

فإذا الأرض سرى فيها النماءْ   وكساها بالقشيب النَّضِر
خالج النفس صفاء وبهاء   وتجلت فتنةً للنظر

فتنة لا بل ضياء وهدى   وجمال جل فى إتقانه
ذلك المخضلُّ من تحت الندى   كم أراح القلب من أشجانه

لو رأيت القطن فى بهجته   وهو يختال على الغصن المديدْ
قلت حلم الصب فى نشوته   يتوشى كل يوم بجديد

وكأن القمح فى رَأْد النهارْ   يتراءى فى شذور الذهبِ
لجة الماء يُغشِّيها النضار   وتحلى من شعاع المغرب

والسواقى من قريب وبعيدْ   صادحاتٌ بالمياه الجارية
يتغنى خلفها طفل سعيدْ   مستظلاً بالغصون الساجية

وبنات الريف يحملن الجرارْ   فى دلال يكتسى بالخجل
هن للقرية زين وفخار   وعليهن صلاح المنزل

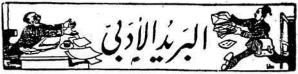
حبذا الزوجة تصفى ودها   وتؤاسى الزوج بالقلب الأمينْ
تحلب الشاة وترعى ولدها   وهى فى الحقل له نعم المعين

خُلق يورق فى ظل الربى   ويروَّى من معين لا يشابْ
هو والنبت ونفحات الصبا   فطرة تذكو بأرواح عِذاب

أيها الريف زهت فيك الحياه   وتجلت صنعة المقتدرِ
كلما حدثت قلبى بمناه   راعنى فيك جمال الذِّكَرْ

فإذا النفس تولاها الكرى   ومضت تغفل عن دنيا الزحام
لاحَ فى الخاطر حلماً مزهرا   يتلاقى الصفو فيه والسلامْ

محمد طاهر الجبلاوى



إلى الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد

أشكر لك أيها الأستاذ الجليل بيانك الجيد عن الشعر المرسل ، ولكنى ما زلت ألح على ثقافتك الممتازة واطلاعك الواسع وشاعريتك السامية العالية ألا تؤثر على هذه الدعوة التى أدعو بها الشعراء كي يقوموا بتجاربهم فى هذا اللون من ألوان الشعر قبل أن يحكموا عليه بمنافاته للذوق وعدم انسجامه وموسيقا الشعر العربى ؛ فهذه هى الاعتراضات نفسها التى صرح بها النقاد فى إيطاليا فى وجه ترسينو ، وفى انجلترا فى وجه مارلو ، وفى كل مكان فى وجه الذين حاولوه المحاولة الأولى ... التجربة وحدها هى التى تثبت صلاحية هذا الشعر أو فساده . وقد عرضنا - وسنعرض نماذج من شعر الأستاذ أبى حديد - وهى نماذج متوسطة ، من نظم رجل لم يشتهر بالشعر ، ولم يمارسه ممارسة المنقطعين للنظم ، وهى مع ذاك لا تسف ذلك الإسفاف الذى يجعلها تنبو فى الذوق ، أو تصدم الأذن الموسيقية ، فما بالك لو كان لدينا اليوم نماذج من هذا الشعر ، وعلى الأسس التى ابتكرها أبو حديد ، من نظمك الشائق الممتاز ، أو من نظم مطران أو محرم أو الكاشف أو الجارم أو على طه أو رامى أو ناجى أو الجبلاوى أو شيبوب ، أو من نظم شعرائنا الشباب محمود حسن اسماعيل أو غنيم أو الصيرفى أو عتيق أو بخيت أو البحيرى أو قطب أو فهمى أو العجمى أو جودت أو البشبيشى أو محفوظ أو فتحى أو الوكيل ... إلى آخر هذا الثبت الطويل الذى تمتز به مصر الحديثة من شعرائنا الشباب والشيوخ على حد سواء ...

أظنك تتفق معى أيها الأستاذ الجليل على أن التجربة وحدها هى التى تكفل لنا الحكم الصادق على صلاحية هذا الشعر أو عدمها ، وأن التجربة التى قام بها أبو حديد إنما ينبغى أن يقوم بها شعراء أقوى - ولن يضير أبا حديد هذا القول - شعراء مارسوا الشعر وامتازوا بالأسلوب القوى والديباجة المصقولة ، شعراء يستطيعون أن يمنحونا هذا ال Mighty Line كما منحه مارلو وكما منحه شيكسبير للأمة الإنجليزية

ونحن لا نرى أنه من اللازم اللازب أن يكب شعراؤنا على هذا اللون وحده من الشعر ، فى نظم الملاحم والمطولات ، إذ يكون هذا هو التعسف بعينه ، فقد تكون المقطوعات أو ال stanzas أجمع للرواية والموسيقا من الشعر المرسل ، خصوصاً إذا قام بنظمها الشاعر الفحل الممتاز ؛ لكننا مع ذاك لا نستطيع أن نغض من قيمة الشعر المرسل المتدفق الذى انتشر فى لغات الأرض قاطبة إلا فى اللغة العربية مع الأسف الشديد . وأحب أن أؤكد للشعراء أنه لا اللغة العربية ولا طبيعة الشعر العربى هما السبب فى عدم إساغتنا لهذا الشعر . بل السبب الحقيقى هو أننا لم نجد التجارب الجيدة فيه ، التجارب التى يحسن أن يقوم بها كبار شعرائنا لا (متأففين) ولا مستنكرين

وبعد ، فأنا أعيذ العقاد العظيم من أن يكون سبباً فى انصراف شعرائنا عن محاولة القيام بتجاربهم فى الشعر المرسل ، بل أعيذه هو من أن يصر على الانصراف عن هذا الشعر .

دريني خشبة

حول أصل الحضارة اليونانية

عرض الدكتور زكى مبارك عند حديثه عن كتاب « قادة الفكر » لمناقشة الرأى القائل بأن « الثقافة اليونانية هى مصدر الثقافة الإنسانية ، وأن الناس فى الشرق والغرب وفى جميع الأجيال مدينون لثقافة اليونان » . وقد انتهى الدكتور من حديثه إلى تقرير أن « الفلسفة اليونانية منقولة عن الفلسفة المصرية » ؛ وهذه النتيجة التى انتهى إليها ، وإن كانت صحيحة على وجه العموم ، إلا أنها تحتاج إلى شىء من الإيضاح

أما بيان ذلك فهو أن أرسطو قد أرجع أصل الفلسفة إلى اليونان حين قرر أن طاليس هو الفيلسوف الأول الذى نشأت على يديه (فى القرن السادس قبل الميلاد) أول فلسفة عرفها التاريخ ؛ ولكن ذيوجانس اللائرسى - وهو من المؤرخين اليونانيين — عارض فى هذا الرأى ، فتحدث فى مقدمة كتابه الموسوم باسم « حياة الفلاسفة » عن وجود فلسفة سابقة للفلسفة اليونانية عند الفرس والمصريين . وعلى ذلك فإن مشكلة أصل الفلسفة قد اختلف فيها من قديم الزمان ، وتبعاً لذلك فقد تساءل الباحثون : هل كانت الفلسفة شيئاً استحدثه اليونان أم تراثاً انتقل إليهم من « البرابرة » ؟

بيد أن النتائج التى انتهى إليها الباحثون أخيراً قد رجحت الرأى الثانى ، إذ أن الكشف عن وجود حضارات سابقة

للحضارة اليونانية ، كالحضارة العراقية (فيما بين النهرين) والحضارة المصرية ، والتحقق من أن مدن أيونيه — وهي مهد الفلسفة اليونانية — قد كانت على اتصال بهاتين الحضارتين ؛ كل هذا قد ساعد على ترجيح الرأى القائل بأن الشرق هو أصل الحضارة اليونانية . ولا يمكن أن يكون التشابه القائم بين قول طاليس بأن الماء أصل الأشياء وبين العبارات الواردة فى فاتحة « قصيدة الخلق » Poème de la Création التى كتبت فى العراق قبل ذلك بقرون كثيرة ، راجعاً إلى مجرد الاتفاق والصدفة . هذا إلى أن البحوث المتأخرة فى الرياضيات وتاريخ نشأتها ، قد تأدت بالباحثين إلى نتائج مماثلة : إذ أن جاستون ملهو G Milhaud فى كتابه : « دراسات جديدة فى تاريخ التفكير العلمى » قد انتهى إلى القول بأن « المواد التى استطاع الشرقيون والمصريون أن يجمعوها فى الرضيات ، كانت بلا شك أكثر أهمية وأوفر غنى مما كنا نتوهم منذ نحو عشر سنين » . وفضلاً عن ذلك فإن علماء الاجتماع الذين قاموا بدراسة « العقلية البدائية » قد وجدوا فى الفلسفة اليونانية آثاراً تدلنا على أن المذاهب الفلسفية الأولى لليونان لا يمكن بحال ما من الأحوال أن تكون بدائية أولية ، وعلى ذلك فإنها لا بد أن تكون صورة مهذبة ناضجة لتفكير أكثر من ذلك عراقة وقدما . وإذن فإن من المرجح أن تكون الفلسفة اليونانية قد نشأت عن أصل شرقى ، وأن يكون الفلاسفة اليونانيون الأولون منظمين ومعدّلين ، لا مخترعين ومبتدعين[1] زكريا ابراهيم

حياة مى : للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

بين يدى الآن كتاب « حياة مى » دفعه إلىّ الأستاذ فتح الله صقال ، لأنظر فيه ، وأكتب

فتحت الكتاب لأقرأ (الآنسة مى) والفهرس ، ثم أطبقه إلى أن تتاح لى فرصة لقراءته ، فلما قرأت ترجمة الآنسة مى شاقنى ما بعدها ، وقادنى حسن البيان ، وسلاسة العبارة من صفحة إلى أخرى حتى رأيتنى أفرغ له فلا أدعه حتى أتمه ، ولا أتمه حتى أهمّ بالكتابة عنه ، ولا أهم بالكتابة حتى يمضى بى الفكر إلى غايته . ولشد مارغبت لو طال الحديث عن مي ليطول استمتاعى بتلك اللذة الساحرة التى لا يظفر بها المرء إلا فى أمثال هذه الآثار الأدبية التى لا يحس المرء فى تلاوتها ضجراً ولا تعباً .

لقد جنيت من هذا الكتاب ثمراً حلواً وظفرت منه بمتاع قيم ، ووجدت فيه لنفسى غذاء كما وجدت عن نفسى ترويحاً وعليها ترفيهاً . وأحب أن يشاركنى القراء فى هذه المتعة القوية . فالكتاب مشوق جذاب بموضوعه وطريقة أسلوبه

أما موضوعه فمن أحب الموضوعات إلى النفس لأنه يبحث عن « حياة مى » . وأنا أحب مياً وأكلف بها ، وأحب التحدث عنها والاستماع للذين يتخذونها موضوعاً للحديث حين يخوضون من حياتها وأدبها . فهى من الشخصيات الجديرة بالدراسة حقاً من حيث أنها غذت نهضة الفكر العربى ، والنهضة النسائية مدى ربع قرن ، فكان لها فى كل موضوع رأى ، وفى كل مكتبة أثر

وأما طريقته فطريقة التحليل النفسى بصدقه ودقته ، والعرض الروائى بطلاوته وحبكته . وأما أسلوبه فأسلوب أدبى قوى لا عوج فيه ولا التواء ، ينساب فى كثير من المواضع كالجدول الصافى . ولا ريب أن الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، قد بلغ أقصى ما أراد فى الجهة التى اختارها أو اختارها له « المقتطف » شيخ المجلات العربية الذى يحسن أن نشير إلى ما كان بينه وبين الأديبة النابغة من مودة وثيقة دامت ردحاً من الزمن ، فلا عجب إذا تولى المقتطف إخراج هذا الكتاب وفاء لصداقته وقياماً بالواجب الأدبى نحو إنتاجها الفنى . وقد استوعب الكتاب ترجمة مى وثقافتها ومحافظتها على الروح الشرقية ، وعطفها على الحياة الإنسانية ، واحترامها للشرائع السماوية ، وحبها للغة العربية ، وطريقتها فى الكتابة النثرية ، وجهودها فى النهضة النسائية ، وتأسيس ندوتها الأدبية ، وكل ما اتصل بحياة مى الثقافية من الأحاديث والأخبار التى حصل عليها الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، من قادة الفكر فى مصر كدليل على صدق خدمتها للأدب ورفيع مكانتها فى النهضة

لذلك أرى أن القارئ يصيب من مطالعة هذا الكتاب غرضين ، معرفة الآنسة مى ، والوقوف على آراء الأدباء والشعراء فيها . وكلاهما جليل الخطر ، عظيم الأثر . وهو أثناء ذلك يستمتع بتلك الروح العذبة تطالعه من بين السطور ، روح الآنسة مى ، تشع بالنور ، وتنضح بالعطر . وتنبض بالحياة

جزى الله الكاتب الفاضل خير ما يجزى به العامل المخلص على جهده وتوفيقه . والشكر الجزيل للمقتطف على عنايته بتقديم هذا المجهود الأدبى إلى الأدب العربى الذى لا يستغنى عنه أديب .

(حلب — سوريا) صبحى العميلى

(١) « تاريخ الفلسفة » لاميل برية ، الجزء الأول ، الكتاب الأول ؛ المقدمة باريس سنة ١٩٣٨ من ص ٣ إلى ص ٦

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)